

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الحادية عشرة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلمته النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصياً.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن المخلص المسيح قد دعاه، وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولا للأمم. وأوضح الرسول بولس أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط. وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المسيح. واعتبر أن الإنسان كان كالولد القاصر في عهد الناموس، الذي كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وأن الإنسان كان تحت وصاية قوانين الناموس الثقيلة. بينما يصبح كل من يؤمن بالمسيح من أولاد الله ومن نسل إبراهيم الحقيقي ويرث مواعيد الله له. وأنه في المسيح صار جميع المؤمنين واحداً ومن شعب الله.

وكشف الرسول بولس أنه في ملء الزمان أرسل الله ابنه من نسل المرأة كما وعد. وتبين لنا أن تعبير ابن الله هو تعبير مجازي، يشير أن الابن هو صورة الله غير المنظور وكلمة الله الأزلي الذي كان متحداً مع الله الأب. ولقد حضر الله الجنس البشري منذ بدء الخليقة لتجسد الابن الكلمة الأزلي في الوقت المعين. وذلك بأن أعطى الناموس لبني إسرائيل، ووضع لهم نظام الذبائح الحيوانية، وأرسل الأنبياء الذين تنبأوا بمجيء المخلص.

نتابع الآن شرح ما دونه الرسول بولس في رسالته إلى غلاطية في هذه الآية: "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس. ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني". (غلاطية ٤: ٤ و٥) ماذا قصد الرسول بولس هنا بقوله: أن الله في ملء الزمان أرسل ابنه أي المخلص المسيح، مولوداً من امرأة تحت الناموس؟ أي ما هو المقصود بتعبير تحت الناموس؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول: لقد كان المخلص المسيح الذي ولد من العذراء مريم، إنساناً كاملاً. فهو في تنازله من السماء و تجسده، أخذ الطبيعة البشرية لكن من دون خطية، كما كان يحمل الطبيعة الإلهية. ولهذا كان كإنسان كامل خاضعاً لناموس الله. فهو رغم أنه ابن الله وكلمته الأزلي المتجسد، ولد في مجتمع يهودي، وكان لابد له أن يخضع للناموس الذي أعطاه الله لبني

إسرائيل في القديم. لا بل كان هو الإنسان الوحيد الذي عاش بحسب مقتضيات هذا الناموس. فالمخلص المسيح هو الإنسان الوحيد الذي لم يخطئ أبداً، وتم الناموس وأكمه بشكل كامل. تممه في حياته، ثم تممه في موته، عندما دفع ثمن عقاب الخطية، للذين كسروا وصايا الناموس. فلقد كان الناموس يقضي بموت كل من يكسر وصاياه، لهذا قدّم المخلص المسيح نفسه ذبيحة كاملة بموته الكفاري على الصليب، لكي يدفع هذا الثمن، وليحررنا نحن البشر الخطاة من عبودية الخطية.

ولهذا أضاف الرسول بولس قائلاً: **"ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني."** أي أن المخلص المسيح وضع نفسه تحت الناموس، لكي يفتدي بموته الكفاري الذين فشلوا في حفظ الناموس وكسروا وصاياه. لكن لنلاحظ أن المخلص المسيح بموته الكفاري على الصليب، دفع في نفس الوقت ثمن خطية كل الجنس البشري، وليس فقط الذين كسروا وصايا الناموس. لأن كفارته كابن لله وكانسان كامل، كافية لكي تشمل خطايا البشر جميعاً. أما هدف كفارة المسيح فهو لكي ينال كل من يؤمن به التبني. فما هو المقصود بالتبني؟

إن التبني بحسب المفهوم البشري هو أن تتبنى أسرة ما طفلاً، فيصبح عضواً فيها، له كافة الحقوق الشرعية كباقي أفراد العائلة. وهكذا كان هدف كفارة المسيح أن تفتح الأبواب لنا نحن البشر الخطاة، لكي نصبح من أولاد الله بالتبني عن طريق الإيمان. أي نغدو أعضاء في عائلة الله الواسعة، ولنا كافة الحقوق والامتيازات كأولاد الله. إننا كخطاة نعتبر أعداء الله، وخارجين عن إرادته، ومستحقين لدينونة الله وعقابه. لكن المسيح بموته الكفاري على الصليب افتدانا، أي دفع ثمن دينونة خطايانا، إذ مات عوضاً عنا. وهكذا فتح المخلص المسيح الطريق لنا لكي نتحرر من عبودية الخطية، ونتبرر أمام الله. وعندما نؤمن به لا يهبنا الله الغفران عن خطايانا فحسب، بل يتبنانا أيضاً إذ يجعلنا من أولاده المقدسين.

ولهذا كتب الرسول يوحنا في بشارته قائلاً: **"وأما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله."** (بشارة يوحنا ١: ١٢) أجل، عندما نؤمن بعمل الفداء الذي قام به المخلص المسيح، يتبنانا الله ويجعلنا من أولاده المقدسين. وهذا يتم عن طريق عمل الروح القدس في قلوبنا، وليس لأننا ولدنا في دين معين، أو نتبع مذهباً ما.

تابع الرسول بولس كلامه في رسالته إلى غلاطية قائلاً: **"ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذا لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح."** (غلاطية ٤: ٦ و٧) كما ذكرنا قبل قليل فإن الله يتبنانا ويجعلنا من أولاده عندما نؤمن بالمخلص المسيح، عن طريق عمل الروح القدس، وهذا ما نسميه بالولادة الروحية، أو الولادة الثانية، أو الولادة

الجديدة. وعندما تتم هذه الولادة الروحية، يرسل الله الروح القدس لكي يسكن في قلوبنا. وعندها نستطيع أن نتكلم مع الله كأبينا السماوي ووالدنا. نعم ، لقد أصبحنا أولادا لله، وهو صار والدنا، بعد أن كنا أعداء له.

أليس هذا امتيازاً عظيماً يا أعزائي؟ أن يصبح الإنسان الخاطئ من أولاد الله؟ لقد أعد الله عمل الفداء من أجله، عن طريق عمل المسيح الكفاري على الصليب. وما عليه سوى أن يؤمن فقط لكي ينال كل هذه الامتيازات. يظن الكثيرون أننا جميعاً كبشر أولاد الله، لكن الحقيقة هي أننا خليفة الله، بينما الذي يؤمن بالمخلص المسيح يصبح من أولاد الله، عن طريق التبني، ويحصل على كل الحقوق والامتيازات كابن لله.

ولهذا وصل الرسول بولس كمؤمن بالمسيح إلى هذه النتيجة الهامة: "إذا لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارثاً لله بالمسيح." إن الإنسان بعد إيمانه بالمسيح لا يعود عبداً أي غريباً عن الله وعائلته بل يصبح ابناً. وكابن في عائلة الله تحقق له كل امتيازات النبوة، فينال الغفران عن خطاياها، والتبرير الكامل أمام الله، ويحصل بالروح القدس على الطبيعة الروحية الجديدة، لا بل يتأكد أنه سيحظى بالخلود في دار النعيم. أي أن إيمانه بالمخلص المسيح، يجعله يرث كل مواعيد الله العظمى وهباته الكثيرة. فهو كابن لله يرث كل ما أعده الله له من خلال المخلص المسيح. أليست هذه عطية عظيمة جداً لا نستحقها نحن البشر الخاطيء؟

أمام هذه الحقائق الهامة ما هو موقفك مستمعي الكريم؟ ألا ترغب أن يتبناك الله وتصبح من أولاده؟ لم لا تأتي الآن وتؤمن بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب لكي يكفر عن ذنوبك ويجعلك من أولاد الله؟